جامعة محمد لمين دباغين- سطيف 2.
كلية الحقوق والعلوم السياسية -قسم العلوم السياسية.
مقرر الحضارة العربية الإسلامية للسنة الأولى.
د. عيساوة آمنة.

المحاضرة الأولى: مفهوم الحضارة وعلاقته بالمفاهيم المقاربة: المدنية والثقافة

تقديم: تكتسب الحضارة قيمتها باعتبارها أحد الأهداف السامية للمجتمعات الانسانية، ومفهوم الحضارة غالبا ما يحمل طابعا جدليا بناءً على اختلاف الرؤى والمنطلقات المعرفية، كما ويتضح مفهوم الحضارة بتبيان الفرق بينه وبين مفهوم الثقافة ومفهوم المدنية.

أولًا: مفهوم الحضارة في السياق المعرفي العربي:

أ-الحضارة في اللغة العربية: يُقال: الحضر بخلاف البدو، والحاضرة الحي العظيم (أي المدينة). ويُقال: الحاضر، وهو ضد المسافر وضد الغائب. وجاءت في القرآن الكريم بمعنى الشهادة أو الحضور فمن ذلك قوله تعالى: (إذا حضر أحدكم الموت)، وقوله: (وإذا حضر القسمة أولو القربى)، وقوله: (فمن شهد منكم الشهر فليصمه). وشهد بمعنى حضر.

يتضح بأن الحضارة لا تدل فقط على الإقامة في المدن بخلاف البدو، وإنما لها معاني أخرى منها الحضور والشهادة. وهنا يتبادر للذهن السؤال عن كيفية حضور المجتمعات الإنسانية في التاريخ الإنساني؟

تأتي الإجابة بحضور المجتمعات إنسانيا بقيمها ومبادئها، إضافةً إلى المنجزات المادية التي ينتجها المجتمع في مرحلة متقدمة من تاريخه. فكثيرٌ من المجتمعات الإنسانية تقتصر على مجرد الوجود دون الحضور. ومن ثم لا يمكن إطلاق مفهوم الحضارة عليها طالما وقفت فقط عند مجرد الوجود.

ب-الحضارة في الاصطلاح: عرفها مجمع اللغة العربية بأنها: "جملة مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي التي تنتقل من جيل إلى جيل في مجتمع أو مجتمعات متشابهة"، وعرفها مالك بن نبي بأنها: "جملة العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر لكل فرد من أفراده جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة للتقدم".

ثانيًا: مفهوم المدنية:

(أ) المدنية في اللغة العربية: اختلف الباحثون حول تحديد الجذر اللغوي لكلمة (المَدَنِيَّةُ)؛ فأرجعها البعض إلى (مَدَن) بمعنى أقام في المكان، وأرجعها آخرون إلى (دَانَ) وهي جذر مفهوم (الدِين) وتعني خضع وأطاع. وبالعودة إلى التاريخ الحضاري العربي والإسلامي، جاء إطلاق لفظ (المَدِينَةُ) في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مقترنًا بهجرته إلى المدينة واستقراره بها فأطلق النبي صلى الله عليه وسلم لفظ (المَدِينَةُ) على يثرب في قوله عليه الصلاة والسلام: (اللهم، حبب إلينا المدينة).

ويفسر إطلاق الرسول صلى الله عليه وسلم على يثرب لفظ (المَدينَة) دلالة (مَدَنَ) بمعنى أقام في المكان، ويقرنه بدلالة (دَانَ) بمعنى خضع للدين، فأصبحت المدينة بعد الهجرة النبوية ذات نظام حياتي وتنظيمي واجتماعي واقتصادي جديد يستوحي أسسه من الدين، معبرةً بذلك عن مضمون المَدَنِيَّة، وليست مجرد تغيير لاسم المكان.

ثالثا: مفهوم الثقافة:

1-في اللغة العربية: بالرجوع إلى لفظ (الثقافة) ودلالاته في المعاجم العربية وقواميسها والقرآن الكريم وعلومه والسنة النبوية وعلومها وكتب التراث الإسلامي بعامه، يُستخلص أن منها ما يدل على الصفات الذاتية للمتعلم وهي: (الفهم – الفطنة – الحذق –سرعة التعلم –ضبط العلم)، ومنها ما يدل على معنى الآلة حيث استعملت الثقافة أداةً وأسلوبا في (تسوية المعوج وما يدخل في ذلك من التهذيب والإصلاح والتقويم)، ويؤيد هذا ما ورد في بعض المصادر عن آلة كانت تُسوى بها الرماح تسمى "الثقافة".

من هنا جاءت تعريفات الثقافة في كتابات المفكرين المسلمين المعاصرين كثيرة ومتنوعة من أبرزها الآتي: "مجموعة الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه"، وعرفها مجمع اللغة العربية بـــ" جملة العلوم والمعارف والفنون التي يُطلب الحذق بها".

رابعا: صلة مفهوم الحضارة بمفهومي الثقافة والمدنية:

الثقافة تعد بمثابة الخارطة الذهنية للحضارة والمرجعية للمدنية، والحضارة تتجسد في المنجزات المادية ومنتجاتها، والمَدنيَة تتمثل في الأساليب والنظم التي تعمل بها المؤسسات الحضارية من النواحي الإدارية والقانونية والسياسية والاقتصادية وقوانين ضبط السلوك العام.

وبناء على هذا تتضح الصلة بين الثقافة والحضارة والمدنية؛ فالثقافة هي مجموع العادات والتقاليد والعلوم والفنون والآداب والأخلاق العامة والقيم المجتمعية، والمدنية هي النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية والتي تنبع من ثقافة كل مجتمع كما يمكن لها أن تستفيد من تجارب المجتمعات المدنية المتطورة، والحضارة تُكلل كل ذلك بالمنجزات المادية التي تفيد الانسانية جمعاء وتبقى شاهدةً على حضور المجتمع في فترة تاريخية ما. فكل حضارة تنطوي على ثقافة أو ثقافات متعددة وتنطوي أيضا على المَدنية ثم يُكلل ذلك بالانجازات المادية ذات الصبغة الحضارية لتدلل على الحضور والتفوق الانساني لجماعة بشرية ما خلال فترة زمنية ومكانية ما.